بكسر الهمزة وقوله انه بما تعملون محيط اي انه عليم باحوالكم فلا يخفى عليه شي منها
النوع الثاني قوله ويا قوم اعملوا على مكانتكم والمكانة الحالة التي تمكن صاحبها من عمله
والمعنى اعملوا حال كونكم موصوفين بغاية المكنة والقدرة وكل ما في وسعكم وطاقتكم
من ايصال الشرور الي اني ايضا عامل ما اتاني الله من القدرة والطاعة سوف
تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب من موصولة مفعول العلم فان قيل
لم لم يقل فسوف تعلمون اجيب بان ادخال الفا وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل
واما حذف الفا فيجعله جوابا عن سوال مقدر وهو المسمى في علم البيان الاستيناف
البياني تقديره انه لما قال ويا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل فكانهم قالوا فما
يكون بعد ذلك فقال فسوف تعلمون فظهر ان حذف حرف الفا ههنا اكمل في
بيان الفصاحة والتهويل لانه استيناف وارتقبوا اي انتظروا عاقبة امركم اني
معكم رقيب اي منتظر والرقيب بمعنى الراقب من رقبه كالضريب بمعنى الضارب
والصارم او بمعنى المراقب كالعشير والنديم او بمعنى المرتقب كالفقير والرفيع بمعنى المفتقر
والمرتفع ولما جاء امرنا بعذابهم واهلاكهم نجينا شعيبا والذين امنوا معه برحمة
اي بفضل منا بان هديناهم للايمان ووفقناهم للطاعة فان قيل لم جا قصة عاد
وقصة مدين بالواو وقصة صالح ولوط بالفا اجيب بان قصة عاد ومدين
لم يسبقهما ذكر وعد يجري مجرى السبب له بخلاف قصتي صالح ولوط فانهما
ذكرا بعد الوعد وذلك قوله تعالى وعد غير مكذوب وقوله ان موعدهم الصبح
فلذلك جا بفا السببية واخذت الذين ظلموا الصيحة اي ظلموا انفسهم بالشرك والبخس
الصيحة اي صيحة جبريل السلام صاح بهم صيحة ارواحهم وماتوا جميعا
وقيل اتتهم صيحة من السما فاصبحوا في ديارهم جاثمين اي باركين على الركب ميتين
كان لم يغنوا اي كانهم لم يقيموا فيها اي ديارهم مدة من الدهر ماخوذ من قولهم
غني بالمكان اذا اقام فيه مستغن به عن غيره الا بعدا اي هلاكا لمدين كما بعدت ثمود
انما شبههم بهم لان عذابهم كان ايضا بالصيحة لكن صيحتهم كانت من تحتهم
وصيحة مدين كانت من فوقهم قال ابن عباس لم يعذب الله تعالى بعذاب
الا قوم شعيب وقوم صالح فاما قوم صالح فاخذتهم الصيحة من تحتهم واما قوم
شعيب فاخذتهم الصيحة من فوقهم القصة السابعة التي ذكرها الله
تعالى في هذه السورة وهي اخر قصصها قصة موسى عليه السلام المذكورة في قوله
تعالى ولقد ارسلنا موسى باياتنا اي التوراة مع ما فيها من الشرايع والاحكام وسلطان
مبين اي برهان بين ظاهر على صدق نبوته ورسالته وقيل المراد بالايات
المعجزات وبالسلطان المبين العصى لانها اظهر الايات وذلك لان الله تعالى اعطى
موسى تسع ايات بينات وهي العصا واليد والطوفان والجراد والقمل والضفادع
والدم ونقص الثمرات والسنين ومنهم من ابدل نقص الثمرات والسنين
باظلال الجبل وفلق البحر قال بعض المحققين سميت الحجة سلطانا لان صاحب

الحجة

الحجة يقهر من لا حجة له كالسلطان يقهر غيره والعلما سلاطين بسبب كمالهم في القوة العلمية
والملوك سلاطين بحسب ما معهم من القدرة والمكنة الا ان سلطنة العلما اكمل واقوى من
سلطنة الملوك لان سلطنة العلما لا تقبل النسخ والعزل وسلطنة الملوك يقبلها ولان
سلطنة الملوك تابعة لسلطنة العلما لان سلطنة العلما من جنس الانبيا وسلطنة
الملوك من جنس سلطنة الفراعنة الى فرعون طاغية القبط وملايه اي اشراف قومه
الذين يتبعهم الاذناب لان القصد الاكبر رفع ايديهم عن بني اسرايل فاتبعوا امر فرعون
اي اتبعوا طريقة فرعون المنهمك في الضلال والطغيان الداعي الى ما لا يخفى فساده
على من له ادنى مسكة في العقل ولم يتبعوا موسى الهادي الى الحق المويد بالمعجزات الظاهرة
الباهرة لفرط جهالتهم وعدم استبصارهم وما امر فرعون برشيد اي بسديد ولا
حميد العاقبة ولا يدعوا الى خير وقيل رشيد ذو رشد وانسلاخ فرعون من الرشد
كان ظاهرا لانه كان دهريا نافيا للصانع والمعاد وكان يقول لا اله للعالم وانما يجب على اهل
كل بلد ان يشتغلوا بطاعة سلطانهم وعبوديته رعاية لمصلحة العالم وكل الرشد في
عبادة الله تعالى ومعرفته فلما كان هو نافيا لهذين الامرين كان خاليا عن الرشد بالكلية
يقدم قومه يوم القيمة الى النار كما كان يقدمهم في الدنيا الى الضلال او كما قومه تقدموا
في الدنيا فادخلهم البحر واغرقهم فكذا يتقدمهم في القيامة فيدخلهم النار كما قال تعالى
فاوردهم النار فان قيل لم يقل يتقدم قومه فيوردهم بل اتى بلفظ الماضي اجيب
بانه انما اتى بلفظ الماضي مبالغة في تحقيقه ونزول النار له منزلة الما فسميت اتيانها
موردا ولهذا قال تعالى وبئس الورد المورود وردهم لان الورد انما يراد لتسكين العطش
وتبريد الاكباد والنار ضده فان قيل لفظ النار مونث فكان مقتضى ذلك ان يقال وبئست
الورد المورود اجيب بان لفظ الورد مذكر فكان التذكير والتانيث جايزين كما تقول
نعم المنزل دارك ونعمت المنزل دارك من ذكر غلب المنزل ومن انث بنى على تانيث الدار واتبعوا
في هذه اي الدنيا لعنة اي طردا وبعدا عن الرحمة ويوم القيمة اي واتبعوا يوم
القيمة لعنة اخرى فهم ملعونون في الدنيا والاخرة ونظيره قوله تعالى في سورة القصص
واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة هم من المقبوحين بئس الرفد اي
العون المرفود رفدهم سال رافع بن الازرق ابن عباس عن ذلك فقال
هو اللعنة بعد اللعنة وقال قتادة ترادفت عليهم لعنتان من الله لعنة في
الدنيا ولعنة في الاخرة وكل شي جعلته عونا لشي فقد رفدته به وسميت
اللعنة عونا لانها اذا اتبعتهم في الدنيا ابعدتهم عن الرحمة واعانتهم على ما هم
فيه من الضلال وسميت رفدا اي عونا لهذا المعنى على التهكم كقول القايل
تحية بينهم ضرب وجيع وسميت معانا لانها اردفت في الاخرة بلعنة اخرى لها
هادية الى طريق الجحيم ولما ذكر الله تعالى قصص الاولين قال تعالى ذلك اي المذكور
وهو مبتدا خبره من انباء القرى اي اخبار اهل القرى وهم الامم السالفة في القرون
الماضية وقوله تعالى نقصه عليك اي نخبرك به يا محمد خبرا بعد خبر وفايدة

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)